منهج الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي خلال أربعة عقود من الزمن (1981-2021) بجامعة الجزائر

أ.د/ نور الدين غرداوي
أستاذ التعليم العالي/ رئيس قسم التاريخ
جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله
noureddine.gherdaoui@univ-alger2.dz

الملخص:

يعدّ موضوع التأطير البيداغوجي والبحث العلمي المهمة الرئيسية للأستاذ الجامعي، وهو أحد المواضيع الهامة والمعقدة، التي قيل عنها الكثير، فَصَدَرَتْ العديد من المواقف والأقوال والآراء حول هذه المسألة من مثقفي الوسط الجامعي، خاصة متخصصي التعليم والتأطير البيداغوجي.

أخذت مسألة التأطير البيداغوجي حيّزاً كبيراً من اهتمامات الفضاء الجامعي، لما لاحظوه من أهمية كبرى في تكوين الطالب الجامعي وتوجيهه توجيها سليما بهدف تطوير البحث العلمي والرقي به إلى مصاف العالمية.

وعرف هذا التأطير البيداغوجي والبحث العلمي بالجزائر نموا هائلا خلال العقدين الماضيين، وكان هذا بفضل إطارات جامعية مؤهلة ومناهج بيداغوجية متنوعة.

والأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج أحد أقطاب هذه الإطارات بفضل تميزه في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي بجامعة الجزائر، نجده مَزَج بين الطرق البيداغوجية القديمة التي تعتمد على تلقين المعلومات والمعارف، والبيداغوجية المعاصرة، التي تعتمد تكوين طرق التفكير ومعالجة المشاكل، وذلك بارتكازها على الوقائع والشواهد المادية، وليس على البنيات المعرفية للوضعيات التعليمية، وتقديم المعارف في شكل مواد منفصلة، تاركا للطالب مهمة الربط والتركيب بين مختلف المعارف وصولا إلى استنتاجات ومقترحات وتصورات مستقبلية.

وكان دائما يقدم لنا في مجالس تدريسه وتأطيره العلمي توجيهات متميزة تواكب المستجدات العلمية، ممزوجة بخبرته الطويلة في ميدان التدريس والتكوين العلمي، قلّ ما نجدها عند غيره من الأساتذة بجامعاتنا، وعمل على المزج بين علمي التاريخ والآثار في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي، وجعل كل علم ينهل من الآخر.

كما نجده سعى لتطوير الإدارة البيداغوجية بجامعة الجزائر عندما شغل العديد من المناصب (مدير الدراسات بمعهد التاريخ، نائب العميد للبيداغوجيا لكلية العلوم الانسانية والاجتماعية....، وقبل وفاته بأشهر تقلد منصب رئيس أخلاقيات جامعة الجزائر(2).

وساهم مسهامة فعّالة في بناء المناهج التربوية، وتقديم مشاريع التكوين للجهات الوصية، وكان من السبّاقين في فتح مخبر للبحث بجامعة الجزائر، الموسوم بـ" مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط " الذي لَمَعَ

بفضل مجهوداته (وسيلة بحث) وفتح هذا المخبر للطلبة والأساتذة والباحثين من داخل الوطن وخارجه ليفجّروا طاقاتهم، وليبرزوا في مجال البحث العلمي.

لذا سنحاول في هذه الدراسة والبحث **استكشاف** منهج أستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي خلال أربعة عقود من الزمن بجامعة الجزائر.

Professor Abdelaziz Laaradj : Methdology in pedagogical framing in scientific research during forty years (1981- 2021) at the University of Algiers.

Abstract:

The pedagogical framing is considered as the main mission of the university lecturer due to its impact on the student's formation and the development of scientific research towards universality especially in Algeria.

Professor Doctor Laaradj has combined between the ancient pedagogical system and the contemporary methods which are based on thinking skills and events. He succeeded in using history and Archeology as a framework of the scientific research.

In addition to that, he has contributed efficiently in the educational methodologies building.

This study aims to discover the methodology of our Professor Abdelaziz Laaradj in the pedagogical framing and scientific research during forty years at the University of Algiers.

يتميّز أستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج في تأطيره البيداغوجي والبحث العلمي بمنهج علمي دقيق، مزج فيه بين الطرق البيداغوجية القديمة التي تعتمد على تلقين المعلومات والمعارف، والبيداغوجية المعاصرة، التي تعتمد على تكوين طرق التفكير ومعالجة المشاكل، وذلك بارتكازها على الوقائع والشواهد المادية، وليس على البنيات المعرفية للوضعيات التعليمية، وتقديم المعارف في شكل مواد منفصلة، تاركا للطالب مهمة الربط والتركيب بين مختلف المعارف وصولا إلى استنتاجات ومقترحات وتصورات مستقبلية.

كما تميّز بقدرة وصبر عاليتين في تأطير طلبته قسم التاريخ ومعهد الآثار والمدرسة العليا للفنون الجميلة.

لذا نحاول في **هذه الدراسة والبحث**، الوقوف على مجموعة من القضايا العلمية التي تميز بها أستاذنا في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي، التي نوجزها في ما يلي:

1- المادة العلمية التي كان يقدمها للطلبة: يتضح من خلال **المادة العلمية** التي كان يقدمها لنا في حصص التدريس أو التأطير البيداغوجي والبحث العلمي، بأنه عالم موسوعي، وذلك من خلال المعارف التي اكتسبها خلال مسيرته العلمية، وكثرة اطلاعه علي مختلف المصادر النفيسة، والبحوث والدراسات التي تعالج مجال تخصصه في التاريخ والآثار والفنون.

كانت له قدرة كبيرة على **استحضار المادة العلمية التاريخية والأثرية** أثناء تأطيره لطلبة التدرج وما بعد التدرج، كان يحفظ أقوال العلماء وأشعار الأدباء...، ويستشهد بهما عند كل مسألة كنا نتوقف عنها.

تميّزت المادة العلمية التي كان يقدّمها لنا بين المصادر النفيسة والدراسات والبحوث المعاصرة، وهذا للوقوف على ما توصل إليه البحث العلمي الأكاديمي.

ومن **جُودِه العلمي** كان يُسَخِّر مكتبته الخاصة لطلبته، ولا يبخل عليهم بمصدر نفيس تحصل عليه خلال مسيرته العلمية داخل الوطن وخارجها، التي فاقت الأربع عقود، فنجده في هذه الحالة يختلف عن كثير من الأساتذة، اللذين كانوا يوجّهوننا إلى المصادر النفيسة، ويتأتون ببعض النسخ منها، لكنهم لا يُعيروها لطلبتهم خوفا من ضياعها أو حاجة في أنفسهم، لكن أستاذنا كان متميّزا عنهم بكرمه علينا، وكان يمدنا بهذه المصادر، لكنه كان حريصا على استرجاعها.

كما نجده عند تقديم المادة العلمية لطلبته كان يركّز على منهجية القراءة التاريخية لهذه المادة، خاصة ما تعلّق بالقراءة النقدية للنصوص التاريخية، ويضعها في المقام الأول قبل بداية تحرير البحوث والدراسات.

إلى جانب هذه الجزئية في تقديم المادة العلمية للطلبة نجده اعتنى بمسألة المصطلح ويجعلها أولية مهمة في القراءات التاريخية، من حيث أصالة المصطلح وفترة تداوله ومدى تطابقه مع عصر الحدث التاريخي الوارد استثماره في البحث التاريخي والأثري.

وقبل دراسة أيّ وثيقة أو مادة علمية كان يوجّهنا إلى دراسة مؤلفها وعصره، لأن فهم النص منوط بفهم الكاتب والعصر الذي عاشه، وتأثيرات هذا العصر في شخصيته وتكوينه العلمي وتوجهه الفكري والمذهبي والسياسي، حتّى نستطيع معالجة (الوثيقة، النص، المعلومة، الحدث التاريخي، ...) من المصدر بقراءة نقدية سليمة.

وهذا للتأكد من مصداقية المصدر، وتكون المعرفة العلمية المقدمة صحيحة ليست خاطئة أو مبنية على التخمين والتأويل ولا متجاوزة، وليست ذات توجه سياسي أو مذهبي أو خرافي...الخ.

وتميّز منهجه في تقديم المادة العلمية بتنوعها، وكان يرى ضرورة التكامل بين علمي التاريخ والآثار، ليكون بحث الطالب متميّزا، وهذا لا يتأتى إلا إذا استطاع الباحث قراءة الحدث التاريخي وتحليله في مجال البحوث التاريخية ودعم تلك الكتابة التاريخية بالشواهد الأثرية، والعكس صحيح في مجال البحث الأثري وتدعيمه بالحقل التاريخي.

كان يشحن هِمَمِنَا وعقولنا بتحفيزات متنوعة تجعلنا نبحث عن المادة العلمية لاستثمارها في البحث العلمي، وذلك بتنظيم ملتقيات وطنية ودولية، ويفتح لنا باب المشاركة فيها بكتابة مقالات في علمي التاريخ والآثار، أو يأخذنا للتدرب على البحث والتواصل والتفاعل مع المشاركين فيها، وذلك بمنحنا فرصة المشاركة في لجان التنظيم والاتصال، وهذا لاكتساب خبرات وكفاءات علمية واتصالية تفيدنا في تكوين شخصيتنا العلمية.

كما كان يحفّزنا على كتابة المقالات العلمية ونشرها في مختلف المجلات العلمية التي كان يشرف عليها أو عضو في لجانها، وذلك بكتابة مقالات في علمي التاريخ والآثار.

إلى جانب اهتمامه بتقديم المادة العلمية لنا كان يراعي **الجانب النفسي والمادي لطلبته،** ومدى قدرتهم على الحصول على هذه المادة العلمية، وكان يساهم في اقتناء مصادر البحث أو تصويرها، لذلك نجده كان يقدم لطلبته معونات مالية لـ(شراء الكتب، طبع رسائل ومذكرات وأطروحات البحث، أو تصويرها) في مخبر البحث الذي أنشأه خصيصا بالدرجة الأولى للطلبة الباحثين، ووضع وسائله بين أيديهم، من أجهزة الكمبيوتر وآلة الطبع، حتّى يتسنّى لهم تخفيف الأعباء المادية، ويجعل طلبته في أريحية نفسية ومادية، تجعله يبدع في مجال بحثه.

إلى جانب ذلك نجده كان يكرم طلبته في مخبر البحث بالحلويات والمشروبات، التي لم يكن يخلوا منا هذا الفضاء البحثي، كل من دخل إليه يخرج منه مُنَمِّي فكره، مملوء بطنه، منشرح الصدر.

وهذا الجانب الانساني النبيل الذي تميز به أستاذنا جعلنا نكن له كل الاحترام والتقدير والتبجيل، ونعتبره الأب الثاني لنا في الفضاء الجامعي، ونقتدي به في سلوكنا اتجاه طلبتنا وأسرتنا الجامعية اليوم.

2- توظيف المادة العلمية: تميز أستاذنا **في** مجال **توظيف المادة العلمية** في البحوث والدراسات والأطروحات الأكاديمية، بتنويع مصادر البحث، فكان يجبرنا على العودة إلى النصوص التاريخية والأثرية من مصادرها الأصلية، لنقوم بتوظيفها في الكتابة التاريخية المراد إنجازها، وذلك بتوظيف المنهج التاريخي الذي يعتمد على أدوات(الوصف، التحليل، المقارنة، الاستنتاج)، وبعض أدوات المناهج الأخرى، كأدوات المنهج الإحصائي، التي نستعملها في الدراسات الكمية.

وهذا التوظيف لا يكون إلاّ **بتحليل دقيق وموضوعي لهذه المادة العلمية،** ومقارنتها ببعضها البعض، وقوفا عند الدراسات والبحوث المعاصرة، مبدين رأينا فيها بكل موضوعية مستخلصين نتائج في آخر البحث، يمكن أن تكون بداية لبحوث مستقبلية.

وكان يهدف من هذا التحليل الدقيق والموضوعي إلى **تكوين الحس النقدي لطلبته،** باعتباره أساس الفهم التاريخي العميق والدراسات الأثرية المميزة.

وكان منهجه في هذا التحليل التدرج النقدي للوثائق من مادية الوثيقة (طبيعة الورق والمداد الشواهد الأثرية وغير ذلك)، إلى ظاهرها من حيث الأسلوب والمصطلحات، وصولا إلى نقد المضمون وترجيح واستنتاجات.

كان مرافقا لنا بامتياز عند توظيفنا للمادة العلمية، ولا يفرض علينا نصوص مصدرية على أخرى، بل كان يترك لنا حرية النقل والاستدلال بهذه النصوص في العديد من القضايا والمسائل الواردة في البحث، ويرشدنا إلى إبراز سبب ترجيح استثمار نص على الآخر ترجيحا علميا وعقليا، والابتعاد عن الخيال والعاطفة والتخمين والخرافة في استثمار المادة العلمية، فنعم الموجه والمرشد في بحوثنا الأكاديمية، فله منّا جزيل الشكر وجميل العرفان.

نحن طلبة قسم التاريخ كان يلفت انتباهنا في دروسه وتوجيهاته إلى الدراسات الأثرية وأهمية استثمارها في الكتابة التاريخية، وكان يقول: لا يستكمل العمل التاريخي ويبقى ناقصا، إلاّ إذا تدعم بالمادة الأثرية، ويصبح البحث مستوف.

3- تصحيح البحوث والأطروحات: يتميز منهج أستاذنا في تصحيح وتصويب بحوث ودراسات وأطروحات طلبته بالمعالجة الدقيقة في ما يخص المعلومات العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة والبحث، وتوثيقها من المصادر المتخصصة، مع مراعات التدقيق اللغوي والنحوي، وتدعيمها بالملاحق النادرة.

لذلك نجد أستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج كان حريصاً على ضبط النصوص من مصادرها، وتوثيقها توثيقا سليما في الأطروحة، حتّى يتسنّى للقارئ الوقوف على مصدر المعلومات.

كما نجده في هذا الجانب يهتم بالتكوين القاعدي لطلبته، وذلك بالتكوين المنهجي العميق.

من مميزاته في تصحيح هذه البحوث أنه دائما يطلب من طلبته الحد الأقصى من البحث، وليس الحد الأدنى، وهذا ما جعل بحوث ودراسات طلبته متميّزة.

كان صبورا عليهم، ويترك العمل ينضج ولا يتسرع، ويطلب منّا الكتابة بكل وعي فكري وليس ارتجالي.

كان يصحح البحوث والدراسات الأكاديمية لطلبته عدة مرات بدون ملل، ولا يتهاون في ذلك، يقوم بتصويبها فقرة بفقرة، فصل بفصل، من الناحية العلمية واللغوية والنحوية...الخ.

كما أنّه إذا اكتشف موهبة علمية يتميز بها أحد طلبته، في هذه الحالة يطالبه بالمزيد، ويترك البحث ينضج ويتوسع فيه الطالب الباحث بالتدرج، ويطلب منه التوسع في المباحث والفصول.

وإذا اكتشف موهبة علمية لطالب من طلبته، يسعى جاهدا لتفتيق هذه الموهبة، ويصنع منها باحثا متميزا، والعديد من الأساتذة الذين يُدَرِّسون في أقسام التاريخ والآثار عبر ربوع الوطن نجدهم تتلمذوا على يده ونهلوا من منهجه العلمي في البحث والتدريس، ونجد اليوم الكثير من الأساتذة المتميّزين في التاريخ والآثار في ربوع الجزائر كانوا ثمرة توجيهه العلمي وتأطيره البيداغوجي.

4- **علاقة الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج بطلبته:** كانت علاقته بطلبته علاقة الأب بأبنائه قبل أن تكون علاقة توجيه وإرشاد ومرافقة في التدريس والبحوث الأكاديمية، كان محبا لطلبته، فكان يمدهم بحنان الأبوة، ويعلمهم معنى الصداقة والاخلاص والوفاء...

ثمّ علاقة **الالتزام** بواجب التأطير البيداغوجي والبحث العلمي اتجاه طلبته، ولا يتخلّى عنهم بمجرد مرض أو واجب علمي آخر أو ضعف علمي عند بعض طلبته أو التزام عائلي...الخ، بل كان يمنح أوقات زائدة لطلبته على حساب صحته وواجباته الأسرية، فجزاه الله عنا كل خير.

ومن مميزاته في جانب علاقاته مع طلبته نجد **احترامه للمواعيد العلمية**، التي كان يخصصها للإشراف والتأطير البيداغوجي لطلبة الماجستير والدكتوراه، وهذا عقد معنوي بينه وبين طلبته قبل أن يكون واجبا بيداغوجيا قلّ ما نجده في يومنا هذا بين الطالب والأستاذ.

وكان يخصص منزله العائلي الصغير لاستقبال طلبته- الذي لا يتسع لاستقبال العدد الهائل من الطلبة- ويكرمهم فيه لعدة ساعات، ثم يقوم بتوجيههم في إنجاز بحوثهم وأطروحاتهم الأكاديمية، ويناقشها لعدة ساعات بكل فرح وسرور.

كما نجده اتبع **منهج جذب وتشويق** الباحثين، وذلك بفتح مخبر "**البناء الحضاري للمغرب الأوسط**" بجامعة الجزائر، ووضعه أمام الباحثين وطلبته لإبراز مواهبهم العلمية وإدماجهم ضمن فرق بحث أكاديمية، وذلك بتنظيم ملتقيات دولية ووطنية وندوات ومشاريع بحث، من أجل خدمة البحث العلمي، وهذا المخبر كان عبارة عن أداة ووسيلة بحث، كانت ضمن مشروع تأطير بيداغوجي وبحث علمي، خصصه للطلبة والباحثين، ليتدربوا فيه على البحث العلمي، وانجاز مشاريع البحث في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية، لتطوير البحث العلمي من جهة، ومن جهة ثانية تطوير قدرات ومواهب الباحثين، ومنحهم فرصة للولوج إلى مصاف الباحثين الأكاديميين.

وبهذا المنهج العلمي الذي تميّز به أستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي يستطيع الباحث والدارس أن يجلي الحقائق العلمية بموضوعية، ويبني أحكامه بدقة في مجال البحوث والدراسات التاريخية والأثرية.

فالكتابة التاريخية وفق منهج أستاذنا كانت بحاجة إلى توظيف المادة الأثرية المستنبطة من مصادرها، دون إغفال دور المادة التاريخية في الكتابة الأثرية أيضا.

ومهما يكن من أمر فأستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج برهن **بمنهجه العلمي** عن اطلاع واسع ودقيق في شؤون الكتابة التاريخية والأثرية، وأبان على قدرة عجيبة في مرافقتنا لاستنباط المادة العلمية من مصادرها وتوظيفها في الكتابة التاريخية والأثرية والمزج بينهما.

كما أن هذا المنهج في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية يصطبغ بصبغة موسوعية، تذكرنا بثقافة أستاذانا موسى لقبال وأبو القاسم سعد الله، أستاذا الجيل الأول من المدرسة التاريخية الجزائرية بعد الاستقلال، اللذين تبحرا في علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ، فكانا يجمعا من هذه العلوم، ويوظّفانها في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي ما يجعلنا نطمئن إلى ثقافة أستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج الواسعة والمتنوعة، مطلعاً على كل فنون المعرفة، **وتعمّقه** في علمي التاريخ والآثار.

هذه جوانب من **منهج أستاذنا الدكتور عبد العزيز لعرج** في التأطير البيداغوجي والبحث العلمي، التي رافق بها طلبته خلال أربع عقود من الزمن بالجامعة الجزائرية، كان يقف فيها بتحليل دقيق ورؤية نقدية ومعرفة واسعة في علمي التاريخ والآثار، اللذين كان مولعا بهما، وسخّر حياته لخدمتها، وعمل على تكوين متخصّصين في التاريخ والآثار بالجامعة الجزائرية، فله منّا جزيل الشكر وجميل العرفان، ورحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.